

الاهتمام الدولي بالحدود وتيفراي يسبق سد النهضة

محمد أبو الفضل
كاتب مصري



لا يعني هذا الكلام أن هناك ما يشبه التواطؤ على مصر أو انتهازية من قبل السودان، لكنه يعكس قراءة بعيدة من جانب إثيوبيا، والتي تاكدت أن فض هذا التحالف يمكنها من المضي في سد النهضة، كمشروع قومي تعتقد قيادتها أن تنفيذه أحد تحدياتها الإيجابية، ويساعد على الاندفاع الشعبي حولها، وكسر شوكة المعارضة المحلية.

أبدت الحكومة في أديس أبابا ليونة في أزمة تيفراي من خلال الاعتراف بوجود انتهاكات والتحقيق فيها، ما عزز التقارير الدولية التي أشارت إلى ذلك، وتأكيد دخول قوات إريتريّة على خط الحرب في الإقليم، وبعيداً عن الدوافع التي ساقها أبي أحمد وتتعلق بدفاع هذه القوات عقب تعرضها لرشقة صواريخ من تيفراي، أوجت الخطوة بترئيتها وأنه غير مسؤول عن أي انتهاكات ميدانية، خاصة أنه تعهد بمعاينة المجرمين.

ينسجم هذا التحول مع رغبة قوى دولية تتشدد بالاهتمام بحقوق الإنسان في العالم، ويرضى غرورها في تكرار هوائيتها في المزيد من التركيز على الأزمة التي مهما بلغت الضغوط فيها على الحكومة الإثيوبية فهي تحتاج إلى قدر من الترتيبات أو حتى التنازلات الداخلية من دون أن تلحق أذى بثوابت الحكم. يقود التقاطع الإيجابي مع الأزمتهن إلى تبييض وجه أديس أبابا، ويبدو عنها الفكرة الرائدة بأن حكومتها متمردة وتريد إعادة ترسيم الجغرافيا السياسية على طريقها والإضرار بمصالح الآخرين، وأي حالة شكلية في الحدود مع السودان وتيفراي تقلل من قيمة اتهامها بأنها متعنتة ومتخففة في أزمة سد النهضة.

تحصل أديس أبابا على هذه الرخصة بموجب قبولها بوساطة خارجية في الأزمتهن على سبيل إظهار المرونة وليس الحل النهائي، ويحصل المخروطون في الوساطة على شرف قدرتهم على نزع فتيل صراعين يهددان التماسك النسبي في منطقة تتشكل من مؤزليك سياسي وأمني واجتماعي قابل للانفجار.

جاء التركيز على الأزمتهن من خبرة المفاوضات الطويلة في أزمة سد النهضة، والتي دخلت على خطها الولايات المتحدة والبنك الدولي والاتحاد الأفريقي، ورفضت إثيوبيا القبول بالطرح الخاص بتشكيل لجنة رابعة عبر إضافة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي إلى الولايات المتحدة والاتحاد الأفريقي.

يرى مصريون أن إهمال سد النهضة عملية متعمدة، ومقصود بها الانتصار لإثيوبيا لتمكين من جعل مشروعها أمراً واقعا مع الماء الثاني للسد في يوليو المقبل، وعلى حكومتهم التحرك بخشونة لوضع حد لمطاملات أديس أبابا قبل فوات الأوان.

بعيدا عن فكرة المؤامرة الكونية، فالناظر إلى أزمة سد النهضة يجدها معقدة وليس من السهولة توجيه ضربة عسكرية مباشرة له، لأن تأثيرات هذا التصرف فنيا وسياسيا وأمنيا كبيرة، وربما تجهض خطة التحديث الجارية في مصر، لذلك لا تميل قيادتها لهذا الحل، فالسد أبعد من مشروع تنموي، وتسهم فيه بالتمويل والبناء شركات تابعة لقوى إقليمية ودولية، لا تريد القاهرة المخاطرة معها.

تسببت ثقة القوى الدولية في استبعاد الحل العسكري، مقارنة باستمرار هذا الشبح في أزمتهن الحدود وتيفراي، في عدم الحماس للوساطة التي ترفضها إثيوبيا، بالتالي فالقبول بها في الأزمتهن الآخرين يفهم أنه يرمي لتخفيف قبضة الضغوط الدبلوماسية عليها في سد النهضة، وفض التحالف بين مصر والسودان الذي أصبح رأس حربة ويكسرها خسائر باهظة.

تشعر شريحة كبيرة من المصريين أن المجتمع الدولي أكثر اهتماما بحل أزمة الحدود بين السودان وإثيوبيا ووضع حد للصراع الدائر في إقليم تيفراي من إيجاد تسوية سريعة لأزمة سد النهضة. تزايد هذا الشعور مع توالي الحديث عن وساطة خارجية بين الخرطوم وأديس أبابا، وزيادة التحذيرات من مغبة استمرار النزاع في تيفراي.

بدأت أزمة سد النهضة أقل اكتراثا في المقاربات الموجهة لمنطقة القرن الأفريقي، مع أنها مستمرة منذ عشر سنوات، ولم يتم إيجاد حل مناسب لها أو ممارسة ضغوط قوية على إثيوبيا لإجبارها على التجاوب مع مبدأ عدم الإضرار بمصالح الغير، كان هناك "مؤامرة" تستهدف استنزاف مصر والسودان عن طريق المفاوضات لحساب إثيوبيا.

ظهر التلويح بالتدخل جديا لأجل الحل الودي في أزمة الحدود، وجرى رفع العصا في وجه الحكومة الإثيوبية بسبب تيفراي، لأن تداعيات الأزمتهن من الصعب ضبطها، وتصطبغ معها روافد قاسية على الدول المحيطة، وقد تصاب المنطقة برمتها بسلسلة جديدة من النزاعات يصعب السيطرة عليها في ظل بيئة تكمن فيها كل عوامل الانفلات وتنتظر لحظة تفجيرها من أي جهة.

جاء الاهتمام وتسليط الأضواء على أزمة الحدود من قبل قوى إقليمية ودولية، وانتفض بعضها بصورة كبيرة عندما استشعروا أن المناوشات العسكرية يمكن أن تقود لحرب حقيقية، فالقوات المسلحة في كل من السودان وإثيوبيا وصلت لجاهزية مرتفعة، ونمة من بغذي الاتجاه نحو المزيد من الاستفزاز لما ينطوي عليه من مصالح لهم.

كانت الصورة مغايرة في بداية الأزمة، فلم يجبا كثيرون بسخونة الحدود، ولم تظهر إثيوبيا تجاوبا مع الإشارات التي جاءت من الاتحاد الأفريقي ودولة جنوب السودان للوساطة، على اعتبار أن الخرطوم ستقوم بالتراجع خطوة أو خطوات للوراء نتيجة السهولة الطاغية في جوانب من أوضاعها الداخلية.

عندما تمسك السودان بعدم التفریط في ما حققته قواته المسلحة من تقدم وسيطرة على جزء كبير من الأراضي التي احتلتها إثيوبيا في إقليم "الشقة"، شعرت بعض القوى المراقبة للموقف أن التطورات المقبلة على الدخول في نفق قاتم، بما يضر بترتيبات طامحة وطامعة في السيطرة على المنطقة، ويوقف قطار السلام والأمن والاستقرار الذي تعول عليه بعض الدول لإعادة صياغة منظومة إقليمية تحقق أهدافها.

بدأت تتوالى التلميحات والتصريحات للوساطة في خضم عدم اعتراض واضح من أديس أبابا أخيرا، التي وجدت أن القبول بأي تدخل في الأزمة يعني الاعتراف بوجود طرفين متنازعين، ويستوجب تقديم تنازلات متبادلة تضر السودان أكثر من إثيوبيا، لأن الأرض "محل النزاع" مملوكة له وفقا لعلامات ترسيم الحدود المعترف بها دوليا.

كتفت أديس أبابا عن استعدادها للحل وسحبت الإشارات التي أوجت بأنها مقبلة على حرب مع السودان. وتبدل الخطاب الرسمي ويات أكثر سلمية، وظهر ذلك أيضا على الخطاب السوداني، بما أسهم في تشجيع خطط التحرك لإيجاد حل، حيث وجدت إثيوبيا أن المرونة في أزمة الحدود تفصي لتفكيك التعاون والتنسيق بين القاهرة والخرطوم في أزمة سد النهضة الذي وضعها في موقف ضعيف دبلوماسيا.



المبادرة السعودية كشفت إيران

سراً أن المبعوث الأميركي تيموثي كيندرلينغ أمضى حديثاً وقتاً طويلاً في مسقط حيث كان يلتقي ممثلين للحوثيين. كان في الواقع يجري مفاوضات غير مباشرة بين "أنصار الله" والرياض التي زارها مرّات عدّة والتقى فيها المسؤولين عن الملف اليمني.

عملياً، رفضت إيران، عبر ممثلها في صنعاء، المبادرة السعودية. تعتقد بذلك أنّ التصعيد الذي تمارسه من خلال اليمن سيمكّنها من متابعة حربها غير المباشرة على المملكة العربية السعودية من جهة وسيجبر الإدارة الأميركية من جهة أخرى على رفع العقوبات التي فرضتها الإدارة السابقة، وهي عقوبات يبدو أنها أدت مفعولها وانتهكت الاقتصاد الإيراني.

استطاعت المملكة العربية السعودية عبر مبادراتها اليمينية كشف الدور الإيراني في اليمن. كذلك، استطاعت إثبات أن ما تحدث عنه مسؤولون أميركيون في ما يخص سياستها اليمينية ليس صحيحاً. المشكلة في إيران وليست في السعودية. هناك أيضاً جانب آخر من المشكلة مرتبط بالتعقيدات اليمينية نفسها، بما في ذلك وضع الجنوب اليميني وضغط ما يسمى "الشرعية" التي تحتاج أكثر من أي وقت إلى إعادة تشكيل وفق أسس جديدة.

يفترض بهذه الأسس أن تعيد الاعتبار إلى شخصيات وأطراف وازنة لعبت في الماضي دوراً في التصدي للحوثيين في النهاية، إن أسوأ ما فعلته "الشرعية" منذ خلف عهده منصور هادي، كرئيس مؤقت، الرئيس علي عبدالله صالح في شباط - فبراير 2012 تمثل في القضاء على الجيش اليميني والإصرار على فرض عقوبات، بموجب قرار صدر عن مجلس الأمن، في حق شخصيات عدة.

مفهوم فرض عقوبات على الرئيس السابق وعلى حوثيين، ما ليس مفهوماً لماذا التركيز على أحمد علي عبدالله صالح الذي كان يمكن في مرحلة معينة، في ضوء خبرته الطويلة، لعب دور مهم وحيوي في إعادة بناء الجيش اليميني على أسس حديثة. يمكن أن تكون المبادرة السعودية فرصة لإعادة نظر أميركية في الوضع اليميني، ألقه التأكيد من أن إيران تصعد في كل مكان متجاهلة أنها لم تحقق انتصاراً في اليمن كي تفرض شروطها على السعودية...

المبادرة السعودية تفتح الأبواب أمام تسوية حل اليمن وتؤسس لمشروع حل أكثر شمولا يصب في خدمة إعادة الوضع اليمني إلى طبيعته بما يسمح بمعالجة الأمساء الناجمة عن الجوع والمرض والفقر

سياسي بين اليمينيين دون أي تدخلات خارجية.

ما طرحه الحاكم العسكري لصنعاء مجموعة من الشروط يفرضها عادة المنتصر على المهزوم. إذا كان من انتصار حقيقة الحوثيون الذين تدعمهم إيران بصفة كونهم أداة من أدواتها، فإن هذا الانتصار هو على اليمينيين المقيمين في مناطق معينة مثل صنعاء، بل على الزيدون أنفسهم الذين يعتقد الحوثيون أنهم يتكلمون باسمهم وباسم العائلات الهاشمية الكبيرة. خرج من هذه العائلات عدد لا يحصى من خيرة الشخصيات اليمينية المثقفة والذمّة وذات الأخلاق رفيعة المستوى، شخصيات سياسية ودينية على علاقة بكل ما هو حضاري ومنتظور في هذا العالم، شخصيات بعيدة كل البعد عن التزمّت والتخلف اللذين يميّزان الحوثيين، أي جماعة "أنصار الله"...

تفتح المبادرة السعودية الأبواب أمام تسوية في اليمن نظرا إلى أنها تأخذ في الاعتبار وقف إطلاق النار والمباشرة في إعادة تشغيل مطار صنعاء وإن ضمن حدود معينة. تؤسس المبادرة مشروع حل أوسع وأكثر شمولا يصب في خدمة إعادة الوضع اليمني إلى طبيعته، بما يسمح بمعالجة الأمساء الناجمة عن الجوع والمرض والفقر...

الواضح أن الهدف من طرح المبادرة السعودية يعود أيضا إلى رغبة لدى المملكة في طي ملف موضوع اضطرت فيه إلى استخدام ما لديها من أسلحة بعدما وجدت نفسها مضطرة إلى ذلك.

لا بد من التذكير في كل وقت بأن "عاصفة الحزم"، التي انطلقت في مثل هذه الأيام من العام 2015، جاءت ردًا على سلسلة من الاستفزازات مارسها الحوثيون (أنصار الله) مباشرة بعد وضع يدهم على صنعاء في 21 أيلول - سبتمبر 2014. كان أول نشاط مارسه الحوثيون وقتذاك تبادل الزيارات بين صنعاء وطهران من أجل فتح خط جوي بين المدينتين. تلت تبادل الزيارات مناورات أجراها الحوثيون عند الحدود السعودية في تحد مباشر للمملكة.

ماذا تريد إيران حاليا من التصعيد؟ هل تخشى نجاح سلطنة عُمان في دعائها الهادفة إلى خلق بداية لحل سياسي في اليمن؟ ليس

خير الله خير الله
إعلامي لبناني



لا تفسير للتصعيد الإيراني على مختلف الجبهات، خصوصا الجبهة اليمينية. سوى التضابق الشديد من استمرار العقوبات الأميركية. كانت هناك حسابات إيرانية خاطئة تقوم على أن مجرد فوز جو بايدن على دونالد ترامب سيؤدي إلى رفع فوري للعقوبات التي فرضتها الإدارة السابقة والعودة إلى الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني الموقع في عهد باراك أوباما.

لم تأخذ "الجمهورية الإسلامية" في الحسبان أن العالم كله تغير منذ العام 2015، لدى توقيع الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني، والسنة 2021. بات ضروريا في أيامنا هذه توسيع الاتفاق وجعله أكثر شمولا. لم يعد في الإمكان تجاهل الصواريخ الباليستية الإيرانية ولا الطائرات المسيّرة ولا السلوك الإيراني في المنطقة. صحيح أن قسما لا بأس به من كبار المسؤولين في الإدارة الأميركية الجديدة عملوا مع أوباما، بمن في ذلك بايدين نائب الرئيس لمدة ثماني سنوات، لكن إدارة بايدين ليست نسخة طبق الأصل عن إدارة سلفه الذي لم يكن يرى سوى بعين واحدة، لم يكن يرى المنطقة كلها إلا من خلال الملف النووي الإيراني مع ما يعنيه ذلك من استرضاء لـ"الجمهورية الإسلامية" وغض الطرف تماما عن كل ما تركته ميليشياتها الذهبية في العراق وسوريا ولبنان واليمن. رفض أوباما، بكل بساطة، رؤية الماسي التي تسبب بها إيران حينما حلت مباشرة أو بالوساطة...

طرحت المملكة العربية السعودية مبادرة لتسوية الأزمة في اليمن. جاء الرد الإيراني سريعا عبر ممثل إيران لدى الحوثيين حسين إيرلو الذي يعتبر الحاكم العسكري الفعلي لصنعاء. كان لافتا أن إيرلو، وهو ضابط في "الحرس الثوري" الإيراني لم ينتظر انعقاد اجتماع للقيادة الحوثية وإعلان موقفها، ولا الجهود التي تبذلها سلطنة عُمان من أجل التوفيق بين اليمينيين وبين الأطراف المعنية بالموضوع اليميني إقليميا ودوليا. وزع إيرلو تغريدة في غاية السلبية تجاه المبادرة السعودية. مما جاء في التغريدة "أن مبادرة السعودية في اليمن مشروع حرب دائم (يقصد دائمة) واستمرار للاحتلال وجرائم حرب وليس إنهاء للحرب". حدد شروط إيران من أجل فرض سيطرتها على اليمن بقوله "المبادرة الحقيقية تعني: وقف الحرب بشكل كامل، رفع الحصار بشكل كامل، إنهاء الاحتلال السعودي وسحب قواته العسكرية وعدم دعم المرتزقة التكفيريين بالمال والأسلحة، وحوار

